مقـــدمـة

الحمد لله واهب العقول، قاسم الأرزاق ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1]. ﴿ ... ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[2]. له الشكر على ما وهبنا من علمه لنهتدى به فى دياجير الدجا؛ لنعرفه به. ولنعبده على بيِّنَة ﴿ ... وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[3] وله الثناء الحسن حتى نلقاه، على ما أودع فينا من جسد من طين لازب ليناسب حياتنا على الأرض التى منها خلقنا؛ ليتم التجانس والتآلف بيننا و بينها وما تنبت ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾[4] وما بث فينا من نفخته الروحانية التى بها نتألق إلى العلا، ونرتفع فوق جسدية التراب، حتى نعانق الملائكة النورانية التى أُسْجِدَتْ لنا؛ تكريما وتعظيما لله الذى خلقنا بهذا التركيب العجيب المُعْجِز...!!

والصلاة والسلام موصولان إلى أفضل خلقه وصفوة رسله محمد، صلى الله عليه وسلم، أزكى النفوس وأطهر الأعراق الذى كمل خَلْقاً وخُلُقاً، فاجتمع له كمال البشر النبوى، الذى أجمل له خالقه ذلك بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[5].

---

(١) سورة العلق. الآيتان (٤ و ٥).
(٢) سورة طه ـ من الآية (٥٠).
(٣) سورة الإسراء ـ من الآية (٨٥).
(٤) سورة طه ـ الآية (٥٥).
(٥) سورة القلم ـ الآية (٤).

وعلى آل بيته الأطهار وصحابته الأبرار.

أما بعد:

فإن الإسلام جاء ليختم الرسالات الإلهية للبشرية، فجمع الله فيه فضائل الرسالات السابقة، وميزه بخصيصتين تجعلانه يساير كل عصر ويتلاءم مع أهل كل مصر، ويلبى حاجات كل أمة وفرد، ويبين كل شيء. ﴿ ... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ... ﴾[1]، ﴿ ... مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ... ﴾[2].

الخصيصة الأولى هى: الثبات فى أصوله وقواعده وأركانه، التى تستعصى على التغيير والتبديل والتحريف والزيف، مهما كانت المحاولات، ومهما تطاولت العصور وناءت بكلكلها.

والخصيصة الثانية هى: المرونة والسعة والسهولة فى فروعه التى تأتى فى شكل عموميات فضفاضة ذات فروع كثيرة يانعة الثمار، دانية القطوف لكل مُجْتَنٍ، ميسرة لكل صاحب فكر ثاقب وعقل نير. ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[3].

ويتضح ذلك من سعة وتنوع تفسير النص الإسلامى ـ قرآناً وسُنَّةً ـ فإننا نرى النص الواحد يتسع تفسيره؛ ليتيح المجال لكل من تخصص فى فن بعينه، وتبحر فيه وكشف خفاياه يتيح له أن يستخرج منه ما لم يفطن إليه غيره من أصحاب التخصصات الأخرى، كلٌّ حسب ما أعطاه الله من علم. وإن القارئ ليعجب عندما يقرأ تفسيرا لمتخصص فى نص بعينه، ثم يقرأ تفسيرا لنفس النص من متخصص آخر... ورابع... وعاشر... الخ، وفى كل مرة يجزم أن النص ما جاء إلا لهذا...!!

(١) سورة النحل ـ من الآية (٨٩).

(٢) سوة الأنعام ـ الآية (٣٨).

(٣) سورة القمر ـ الآية: (١٧).

إنها المرونة الموسوعية الاستيعابية الحافظة لهذا الدين نجاحه فى الاستمرارية بنفس قوة الدفع الأولى فى عصر الرسالة الأولى، دون أن يصاب بالترهل أو الشيخوخة، ودون أن تتخطاه عجلة الزمن..

ولا غرابة فى ذلك؛ فإن الله الذى خلق هذا الكون وجعل له سننا يسير عليها لا تتخلف أبدا ـ هو رب الدين الذى أراد له أن يكون خالدا بخلود هذا الكون. وقد أودع فيه سنة مسايرة الأزمنة والأمكنة. فسنن الله فى الكون لا تتعارض مع سنته فى دينه الخاتم؛ لأنهما يخرجان من مشكاة واحدة أبدعها رب واحد، لا إله إلا هو.

وإن الكتاب الذى بين أيدينا يعالج موضوعا من أعقد الموضوعات العلمية، إن لم يكن أعقدها على الإطلاق، وهو موضوع النفس البشرية. يعالجه من زاويتين: قديمة، تتمثل فى علم النفس العام، وجديدة تتمثل فى علاقة هذا العلم بالدعوة.

إن المسلمين لو ساروا على سنن الله فيهم، لما وصلوا إلى ما وصلوا إليه اليوم من الحالة التى لا يحسدون عليها.

لقد جاءت سنة الله فيهم بمثابة القانون الذى إذا ما استعملوه أوصلهم إلى النتيجة الصحيحة. والعكس صحيح، وهى المتمثلة فى قوله، تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... ﴾[1].

فهى أمة (أُخْرِجَتْ) إخراجا ولم تأت لهذا الوجود صدفة، حيث إن كلمة (أُخْرِجَتْ) تعنى القصد والاعتناء والاستعداد والإعداد. فهذه الامة ـ إذَنْ ـ أُعدت إعدادا خاصا وأخرِجتْ إخراجا خاصا؛ لتكون خير الأمم، ولتحمل رسالة الدين الخاتم للبشرية كافة. فهذا قَدَرُهَا. وهذا طريقها. فإن هى

(١) سورة آل عمران ـ من الآية (١١٠).

سارت عليه وصلت. وإن جَافَتْهُ تاهت وتخبطت. وسنن الله لا تتغير. ﴿ ... فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾[1].

وعندما سار الأوائل على هذه السنة قادوا الأمم سيادة وعلما، عندما كان الغرب يسبح فى بحر لجى من ظلمات الجهالة، كان المسلمون يوقدون مصابيح العلم حتى تقاطرت جماعات الطلاب من أنحاء الدنيا تستضىء بهذا العلم. وأيقظوا به بلدانهم من سباتها، فبدأت تلتمس طريقها نحو التقدم، حيث تخلف عنه المسلمون.

وبعد أن جَدَّ الغرب وَشَمَّرَ وبحث وَنَقَّبَ، وأشبع بلدانه علما وثروة ـ اشرأبت أعناقهم إلينا، ولكن هذه المرة ليس ليأخذوا عنا العلم، بل ليغزونا بما عندهم، وليأخذوا خيراتنا إلى بلدانهم، وليغيروا أفكارنا وعقائدنا وسلوكنا ومنهجنا؛ لنسير خلفهم ـ وليس بجوارهم ـ فى ذَيْلِيَّةٍ مذلة شائنة، سالكين طريقهم فى غير هدى حذو القذة بالقذة!!

إن العلم الذى أخذوه عنا ـ بحضارته ـ لم يتركوه كما هو عندنا، بل طفقوا يضيفون إليه ويطورون فيه. والأدهى من ذلك أنهم صبغوه بعقائدهم، وألبسوه ثياب عاداتهم، ونحلوه من نحلتهم، فجاء إلينا هجينا من أفكارهم وعاداتهم وتلوثات بيئاتهم وخلجات أنفسهم، وحتى فضلات أمعائهم!!

ومن تلك العلوم التى وردتنا من الغرب، علم النفس بمدارسه المختلفة، قديمها وحديثها، حسنها وقبيحها. وهو علم بدأ مختلطا بالفلسفة إلى أوائل القرن التاسع عشر، عندما اختلف علماء الغرب فى تفسيراتهم له، فانبثقت من جراء ذلك عدة مدارس، حسب رؤى كل عالم لماهية هذا العلم... ولم تبتعد تلك المدارس كثيراً عن الأفكار السابقة، أفكار الفلاسفة الأوائل، أمثال أفلاطون وأرسطو، رواد العلوم الوافدة من الغرب..

(١) سورة فاطر ـ من الآية (٤٣).

فبالرغم من أن أفلاطون وأرسطو لهما الريادة فى كثير من العلوم الفلسفية، فإن هذا العلم ـ علم النفس ـ لم يكن له تاريخ محدد منضبط تعرف به بداياته الأولى؛ لأن محاولات أفلاطون وتلميذه أرسطو كانت فى نطاق الفلسفة، وتحدثا ضمنها عن الروح والنفس، شأن كل قدماء اليونان ممن اشتغل بالعلم.

فمثلا: كان أفلاطون يقول بوجود مستقل للروح، مع عدم تحديده لها، كوصفه للإنسان بأنه مكون من: روح وعقل ولذة.!! وكحديثه عن الكون ووصفه له بأنه عبارة عن: جوهر ومادة....!! وكان يمجد العقل ويزعم: أن جوهر الوجود لا يدرك إلا به!!

وقسم المجتمع إلى ثلاث طبقات، جعل أرقاها هى التى تتميز بقوة العقل، وجعل الحكام من هذه الطبقة، حيث كان اليونان يؤلهون الحاكم، وزعم أن هذه الطبقة هى التى تفهم جوهر الوجود!!

والثانية هى الطبقة المنهمكة فى جمع القوت، فألهاها عن التفكير، فلم تعد تفهم الفضيلة، ولا تتطلع إلى المعالى، وهى الطبقة العاملة.

والثالثة: هى التى تغلب عليها قوة الروح وتبرز فيها صفات الشجاعة، وهؤلاء هم الجنود، حراس الطبقة الأولى.!![1].

وهى نظرة وثنية استقاها من وثنية اليونان..

ولم يبتعد عنه كثيرا تلميذه أرسطو، وإن خالفه فى بعض المفاهيم الفلسفية المتصلة بعلم النفس فى أطواره الأولى الممزوجة بالفلسفة..

ففى جانب الروح، نفى أن تكون عنصرا مستقلا، وعرفها بأنها: مجموعة الوظائف الحيوية التى يقوم بها الكائن الحى...!! وهنا يكون قد مزج بينها

(١) انظر: السلوك الإنسانى، ص ٥، د/ انتصار يونس.

وبين النفس، وهذه نظرة اتفق فيها معه بعض علماء المسلمين. وهى الأقرب إلى الصواب، فى نظرنا كما سيأتى لاحقا إن شاء الله. كما تحدث عن العقل وماهيته والفكر وتحليلاته. وزعم أن الإنسان حيوان مفكر، يستطيع الوصول إلى معرفة المعانى الكلية عن طريق الاستدلال والمقدمات المنطقية ومسلماتها. وزعم بعض الباحثين أنه أول مؤسس لعلم النفس الفلسفى[1].

ثم تلت تلك الحقبة خطوات انفصلت فيها دراسات الروح عن العقل ـ وكان ذلك بعد أن مُنِعَتْ الكنيسة من الخوض فى العلوم الدنيوية ـ فاختص بالأولى رجال الدين، وبالثانية الفلاسفة.

ثم خطا علم النفس خطوات جديدة بعد ظهور مدارس علم النفس الحديثة التى كانت على رأسها (الديكارتية) لمؤسسها الفيلسوف الفرنسى (ديكارت) فى القرن الثامن عشر... فقال بحرية العقل ومنطقيته. ثم جاء بما يسمى بنظرية الفعل المنعكس (الفيسيولوجية) التى فسر السلوك الإنسانى على أساسها، وقولها بارتباط الأشياء بعضها ببعض ارتباطا حسيا عضويا بما فى ذلك النفس والشعور. ولم تتطرق إلى اللاشعور. وهى مدرسة قديمة من أيام أرسطو.

فزعموا: أنه مثلما تترابط المادة بجزيئات صغيرة، كذلك العقل يتماسك بجزيئات دقيقة، يقود ترابطها إلى مركبات هى المفاهيم والمعانى الكلية... والإنسان يتذكر نتيجة لارتباط الحوادث بعضها ببعض أو ما يسميه (هوبس) ـ وهو من أنصار هذه المدرسة ـ بعملية: الاستدعاء، أى استدعاء الحوادث بعضها بعضا...[2].

وظهرت فى ألمانيا المدرسة الوظيفية فى نفس القرن، وفى أمريكا عام

---

(١) المرجع السابق ص ٦.

(٢) انظر: مدارس علم النفس، د/ فاخر عاقل، ص ٥٩.

١٨٩٨. وهى تعتنى بوظائف الأشياء أو عملها. مثل قولهم: ما وظائف الأعضاء فى الجسم؟ وما هى علاقتها بالنفس؟ وما هى وظيفة النفس فى الجسد؟ ومن روادها (تتشنر) الإنجليزى وغيره مثل (جون ديوى) الأمريكى..

ثم المدرسة التحليلية فى القرن التاسع عشر التى تعتمد تحليل الخبرة الشعورية كقاعدة لدراسة النفس الإنسانية. وهى من المدارس التى تعتنى بالتجريب على النفس. ومن روادها (فونت) و (دارون) صاحب نظرية التطور. وقد ازدهرت فى النمسا فى حوالى عام ١٩٠٠م.

وأخيرا المدرسة السلوكية التى وطدت أقدامها فى أمريكا فى عام ١٩١٢م، ويعتبر (واطسون) حامل لوائها الأول. كما أنه (اتجه) بعلم النفس إلى التجريب المعملى، وجعل النفس البشرية مجرد قطعة مادية تجرى عليها تجارب البشر فى المعمل!! وقال فى كتابه السلوك (مدخل إلى علم النفس المقارن): (علم النفس كما يراه السلوكى، فرع موضوعى وتجريبى محض من فروع العلوم التجريبية. ويبدو أن الوقت قد حان ليتخلص علم النفس من كل إشاة إلى الشعور، ومن ملاحظة الحالات النفسية. إن من الممكن كتابة علم النفس دون الإشارة إلى (الشعور) و (الحالات النفسية) و (النفس) و(فحوى الخبرة) و (الإرادة) و (التصور) وما إلى ذلك. إن من الممكن كتابته ضمن حدود (المثير والاستجابة) و (تكوين العادات) للمراجعة و (تكامل العادات) وما يشبه ذلك[١].

وهكذا أصبح الإنسان فى مفهوم المدرسة السلوكية عبارة عن آلة صماء تتعرض للمثيرات البيئية؛ لينتج عن ذلك استجابات معينة. أو تفحص داخل المعامل لينتج رد فعل يقيسون عليه سلوك الإنسان، ويقوِّمون أحواله النفسية. على ضوء نتائجه ليقولوا للمجتمع: هذا هو السلوك البشرى السوى!!

---

(١) المرجع السابق ص ٩٢.

والسلوكيون بمنهجهم هذا قد فَرَّغُوا الإنسان من كل خصائصه: النفسية، والروحية، والعقلية، والفكرية، والشعورية، وجعلوه مجرد قطعة تجارب!! وهذا ما عناه العالم الإنجليزى (سيرل بيرت هازلا) (إن علم النفس الحديث فقد روحه، ثم فقد شعوره، ثم فقد عقله.)[1].

ولقد مرت مدارس علم النفس ـ قديمها وحديثها ـ بثلاثة محاور رئيسة لم تخرج عنها فى جملتها، وهى:

المحور الأول: عندما كان علم النفس مختلطا بالفلسفة كجزء لا يتجزأ من أبحاثها، شأنه شأن ما يسمى بالعلوم (الإنسانية) وكان فى هذا الطور يسير على منهج وثنية اليونان ابتداءً من أفلاطون وأرسطو وغيرهما..

المحور الثانى: بدأ بما يسمى بعصر التنوير، وهو الذى انفصلت فيه العلوم وما يتعلق بها عن الكنيسة، بعد أن كانت تفرد جناحها على كل شىء. ففى هذا الوقت بدأت العلوم تخلع اللباس الدينى، ومن ضمنها علم النفس الذى لم ينفصل بعد عن الفلسفة، وكان من رواده العالم (جاليلو) وغيره..

المحور الثالث: هذا الطور هو الذى بدأ بعصر النهضة العلمية ـ عصر الثورة الصناعية وما بعدها ـ الذى تولد عن ثورات سبقته مثل الثورة الفرنسية رائدة العلمانية فى الغرب.

وظهر فى هذا الطور كثير من الفلاسفة الذين كانوا من رواد كثير من العلوم التى من ضمنها علم النفس، ومنهم: (ديكارت) و (أوجست كونت) ثم (دارون) و (فرويد) و (ماكدوجل) و (جون لوك) و (واطسون)...

وقد تميزت بعض فترات هذا العصر بتخبطات عديدة، تقلب فيها العقل الغربى من الإلحاد إلى عبادة المادة. إلى تأليه العلم والإعجاب بالمخترعات العقلية.

---

(١) التفكر، د. مالك بدرى ص (١٨)، نشر المعهد العالمى للفكر الإسلامى بأمريكا ط، ١، دار الوفاء بالقاهرة.

وكان ذلك على وجوه الإجمال فى القرون: الثامن عشر، والتاسع عشر، وأوائل القرن العشرين إلى حوالى منتصفه، ولكن مدارس علم النفس فى شكلها الحاضر تبلورت وتمايزت فيما بين: ١٨٩٨ ـ ١٩١٢م ولم تظهر مدرسة جديدة متكاملة لا قبل ذلك ولا بعده حتى الآن، وإنما توجد نظريات تطويرية لتلك المدارس[١].

وعلم النفس لم يقف يوما من الأيام مستقلا بذاته، ولم يقم على ساقه، بل كان دائما عالة على غيره: فهو مرة مع الفلسفة فى تهويماتها وخيالاتها، وتارة يسير فى ركاب الثورات الإلحادية المادية، ومرة يصحب العلوم الطبيعية، مثل الفيزياء والأحياء!!

ويظهر لنا مما تقدم أن علم النفس غربى المولد والمنشأ، كما هو وليد ثورات وملابسات عديدة، عقدية وفكرية، بل واقتصادية. وبالتالى يحق لنا أن نقول: إنه لا يناسب بيئاتنا الإسلامية بشكله الذى هو عليه، وما لم تُجْرَ له عمليات جراحية تأصيلية وتجميلية، وعمليات تنظيف شاملة، ولكن ـ للأسف ـ ما يزال يدرس فى جامعاتنا ومدارسنا كما جاء من الغرب، شأنه فى ذلك شأن كثير من العلوم الأخرى! وبالتالى فهذه العلوم غربية فى كل شىء. وما يقال عن عالميتها فهو ضرب من الخداع والتمويه لا تسنده ذرة من الحقيقة، ويكذب ذلك الواقع الذى عليه هذه العلوم، فهى أجنبية حتى فى الأمثلة التى تساق للتوضيح...

والذى نعنيه هنا العلوم المسماة بالإنسانية: كالعلوم النظرية الفكرية الفلسفية، لا العلوم التطبيقية، حيث إن الأخيرة علوم محايدة، فى عمومها.

كما أننا لا ننادى بِاطِّرَاحِهَا وإِلْغَائِهَا، بل نقول بإصلاحها وأخذ النافع منها الذى يناسب أحوالنا، من عقيدة وفكر ومنهج وأسلوب حياة...

---

(١) انظر: مدارس علم النفس، د. فاخر عاقل ص ١٥.

ومدارس علم النفس، لم تتفق فى نظرتها للإنسان: فمنها التى تعاملت معه كمادة معملية وقطعة أثرية تجرى عليها التجارب داخل المعمل.

ومنها التى جعلته روحا دون جسد، فَهَوَّمَتْ في سبحات الخيال، ولم تلو على شيء.

ومنها التى تعاملت معه من منظور شكله الخارجى وأهملت ما سوى ذلك، من دواخل النفس وخلجاتها، وزعموا أن الظاهر يدل على الباطن، وأن ظاهر الجسم مرآة تنعكس فوقه مكونات النفس، فمن حسن تركيب خلقته وتناسبتْ أعضاء بدنه، كان طيب النفس، حسن الخلق، نقى السريرة، طاهر الوجدان. وأحسن طريقة لمعرفة النبيل من غير النبيل هو أن ننظر إلى شكله وأفعاله، فإذا كان حسن الشكل نبيل الفعل حكمنا بطيب أصله، وإذا كان قبيح الشكل قبيح الفعل، قلنا إنه من سواد الناس وحثالتهم، حتى نستطيع أن نجعل الناس زُمَراً، فمن تشابهت أجسامهم تشابهت أخلاقهم[1].

وأخذوا يصفون شكل الإنسان الخارجى، ثم يذكرون صفاته النفسية طبقا لشكله الخارجى: فوصفوا صاحب الوجه الطويل بنفسية معينة، وصاحب الوجه المستدير بنفسية أخرى، والممتلئ الجسم بنفسية، والنحيف بأخرى، وكذا القصير والطويل، بل ذهب بعضهم إلى احتساب اللون والسحنة[2].

أما علم نفس الدعوة فلا يقر تلك النظريات، ولا يربط بين الهيئة الخارجية على النحو المذكور، وبين النفس، فلا علاقة بين امتلاء الجسم والحالة النفسية والأخلاقية ولا الطول والقصر، ولا جمال الشكل وقبحه، فكم من أُناس أشكالهم جميلة ونفوسهم خبيثة والعكس.

---

(١) علم الفراسة (أسرار الخلقة وإبداعها) د. إحسان حقى ص ٢٠ وما بعدها، دار النفائس ـ بيروت ـ ط ٣ (١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م).

(٢) المرجع السابق ص ٣٩ وما بعدها.

ولقد كان الرسول، صلى الله عليه وسلم، وهو أكمل الناس خَلْقاً وخُلُقاً يسأل الله الذى حسن خَلْقه أن يحسن خُلُقَه فيقول:

(اللهم أحْسَنْتَ خَلْقى فأحْسِنْ خُلُقى.)[1].

والغريب أن هؤلاء مع تقسيمهم ذلك للإنسان، يعترفون بأنهم لا يعرفون الإنسان على حقيقته، ولا يعرفون متى جاء لهذا الوجود.!! فهم يعترفون قائلين: (ونحن لا نعرف بالاستقصاء العلمى، متى بدأ الإنسان يفكر؛ إذ تنقصنا الأدلة العلمية، لا بل تنقصنا المادة الرئيسية لذلك، وهى: متى وجد الإنسان على سطح الأرض؟!)[2].

وإذا كان أصحاب مدارس علم النفس العام لا يعرفون متى وجد الإنسان، فإننا ـ فى علم نفس الدعوة ـ نعرف ذلك تماما ويقينا، بل ونعرف متى خلق، ومم خلق، وما مهمته التى خلق لأجلها.! عَرَّفَنَا بذلك كلِّه خَالِقُ الإنسان:

﴿ ... وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾[3].

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ... ﴾[4].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ... ﴾[5].

وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مخاطبا الناس جميعا معلنا مساواتهم فى الخلقة وفى الإنسانية: (... والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب...)[6].

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ١/٤٠٣.

(٢) علم الفراسة (أسرار الخلقة وإبداعها) د/ إحسان حقى ص ٢٦ دار النفائس ـ بيروت ١٤٠٦ هـ.

(٣) سورة السجدة ـ من الآية (٧).

(٤) سورة آل عمران ـ من الآية (٥٩).

(٥) سورة النساء ـ من الآية (١).

(٦) رواه الترمذى، كتاب تفسير القرآن، باب (٤٩)، ٥/٣٦٣.

أما علم نفس الدعوة ـ على حداثته ـ فهو يبحث فى النفس الإنسانية على ضوء هدى الإسلام العام ومعطيات القرآن الكريم والسنة النبوية، مستهدفا ضبط السلوك البشرى بما يتلاءم والهدف الإنسانى السامى من خلقه على صورته التى خلق عليها، وتوجيه سلوكه على هدى الإسلام، وضبط انفعالاته واندفاعاته بذلك المعيار المنضبط. فكل الاستنتاجات والدراسات والأقيسة تساق من منظور إسلامى دَعَوِى. مع الاستفادة ـ فى ضوء ذلك المعيار ـ من كل ما أنتجه الفكر البشرى وما هداهم إليه خالقهم. ننتفع بالصالح الذى لا يتعارض وأخلاقنا وعقيدتنا. وليس من شأن المسلم الداعى أن ينطوى على نفسه، بل هو دائم الانفتاح على غيره، يفيد ويستفيد، ولكن فى وعى إسلامى كامل، وفطنة لا تُخدع.

ولقد حاولنا فى هذا الكتاب أن نسير على هذا المنهج فى عمومه، مع استعمالنا لكثير من مناهج البحث العلمى، مثل المنهج الاستقرائى، والمنهج التحليلى، وغير ذلك مما يراه ويلمسه قارئ هذا الكتاب.

وإن كان هذا الكتاب قد تناول نفس الموضوعات التى بحثها علم النفس العام، فإنه يختلف فى نوعية الطرح والمعالجة والشرح والتحليل والاستنتاج والهدف والأسس التى يبنى عليها نتائجه، بل والمنهج الذى يسير عليه.

فقد تعرض الكتاب للتعريف بالنفس الإنسانية، والعلاقة بينها وبين الروح، كما بحث الشخصية وتحدث عن أنواعها، وميزة الشخصية الدعوية وكيفية تنميتها، ثم تطرق إلى الدوافع والانفعالات، وتعامل الداعى مع المدعو، وما أنسب الطرق لفهمه ودراسة نفسيته، ثم عرض من خلال ذلك علاجات القرآن للنفس الإنسانية وإصلاحه لحالها، مع ما يمتاز به التشريع الإسلامى فى هذا الصدد.

وأكثر ما واجهنى من عقبات هو المراجع التى فى صلب الموضوع، فهى فى حكم العدم، ولكنى مع ذلك قد أخرجت الكتاب بصورة أحب أنها على خير، بتوفيق من الله وعون منه.

والذى حفزنى لتأليف هذا الكتاب ـ إضافة إلى خلو الساحة من المادة المعروفة فيه ـ أن مادته تدرس فى بعض الجامعات والمعاهد الإسلامية فى بعض البلاد العربية، مثل سلطنة عمان، فى معاهد السلطان قابوس، والمعهد العالمى للقضاء، وفى جامعة السلطان قابوس...

فآمل أن يكون هذا الكتاب مرجعا يستفيد منه طلاب العلم، كما يستفيد منه الدعاة وكل من يقرؤه.

ولا يفوتنى أن أسجل شكرى لكل من أعاننى على إخراجه، وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور دفع الله الأمين يوسف نائب مدير جامعة أم درمان الإسلامية، وعميد معهد السلطان قابوس للدراسات الإسلامية بجعلان؛ لما بذله من جهد لقراءة الكتاب، كما أشكر زوجتىَّ: أم عبدالله، وأم عبدالرحمن على ما بذلتاه من جهد فى تخريج الأحاديث والمراجعة وطباعته على الآلة الكاتبة، وما هيأتاه لى من مناخ صالح للبحث والدراسة...

والحمد لله رب العالمين.

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

سلطنة عمان ـ جعلان بنى بو حسن

فى السابع والعشرين من رمضان (١٤١٣ هـ) الموافق (٢٠/٣/١٩٩٣م)

د/ محمد زين الهادى العَرَمَابِى